قصائد

أيُّها الغدُ الآتي من رأس
آلهة دموية/ تستبيح
الحدّيقة والحانة
والمقهى الكئيب،
لا تدخل من النافذة/ لا
تكن عفنًا تخضرّ شُعيراته
على عينيّ تخضرّ شُعيراته
الباب، غريبٌ لا تشبه
الغرباء الذين شرّعنا لهم
خيامنا ولا نعرفك

علي صلاح بلداوي

لو تكن

انزلونا إليكَ من حديقةٍ مُستباحةٍ
وخلفنا ظلّت المناجلُ والرؤوس
المعصوبة والجِرَافات
خلفنا هَرجةٌ ليس لنا فيها ناقةٌ تعبر الحال
إلى أحسن منه
ولا حوتٌ يغورُ بنا بعيدًا عن هذا العبث.

لسنا سوى هذه الجِرار المُكسَّرة وليسَ فيها ذَهَبُ
وهذا القمح الهباء وليس من يجمعه
لسنا أكثر من حصى طفرت إلى البئر
وظلّت هناك تكتم حسرتها
لهذا،
لا أظنُّكَ مضيافًا بما يكفي،
فلو تكن رؤوفًا بنا قليلًا
يا جحيم.

من إسقطها من عليّين

لمن تُترك هذه الجنّة المكسور دورقها
والمبدَّد ماؤها في شقوق الأرض الغريبة.
هذه الجنّة الجارحة للماشي بعيدًا عن شظاياها
والصاعد في بحّة صوتها ذبولُ الصبّارِ في ظهيرةِ البادية.

لمن تُترك هذه التي صحونا
وكلّ شذرةٍ منها في إصبع شيخ، وسيّدٍ،
ولصّ مقدّس في شرائع اللصوص،
وأيُّ يدٍ، تَخرج بيضاء من تحت إبطِ
صاحبها، ستجمعُها من شتاتٍ، وتُعيد
ماءها من خوف.

لستُ أدري،
هذه الجنّة التي كانت تُسقى على رفّ
الفراديس بماء الصالحين،
وتُبذرُ فيها صباحاتهم الناصعة
من أسقطها في غفلةٍ من عِلّيّين
وتركها هكذا
مُستباحةً من الضبّ والذئب، ووحشة
الجفاف،
إلى الأبد.

هذا هوَ

هذا هوَ الموت
اعثرْ عليه في طريقي كثيرًا
وأملأ به جيوبي مع التينِ والكرزِ
أمضغهُ
وأبصقه
وأمشي لأركلَ الحصى وأصفّرَ كأنّني ما
ذقتُ طعمه.

لا أخاف منهُ ولا أحبُّه
لكنّني ألفه
وبشكلٍ يومي
يتمسّحُ بثيابي
مثلَ قطّةٍ وحيدةٍ في ليلةٍ ماكرة.

هذا هو الموت
ظلّي الوحيد في الضوء والعتمة
ومقعدي الشاغر في باصٍ ينتظرني آخر
الدرب.

غدٌ ترسمهُ الآلاتُ الإنسانُ فيه بضعة أرقامٍ تعدو في الشاشات

مصابٌ بتدوينٍ ما قاله لكم الأحبّة

طفلتان أمام «مسجد الشهداء» المدمّر في مخيم جباليا، 5 آذار/ مارس، 2024 (Getty)

هاطلٌ من عينِ كلّ طفل

انا الهاطل من عين كلّ طفلٍ لا سريرَ له في البيت/ ولا دفتر
يرسم فيه احلامهُ بعد يقظةِ الظهيرة/ الطفلُ بالغُ المناديل
الذي كسّرت جمجمتهُ مزاميرُ
العربات/ الطفل المصلوب وسط
الشارع نهارًا/ وبضعة قرون/
الطفلُ الذي مأواه الحجارة،
وطريقهُ محفوف بالكلاب/ فلا
ادري كيف يمكن ان تجدني
في مكان آخر غير هذا؟/ غدًا
رمادٌ يُنادُرهُ سادةُ الجنّة في
مياه دجلة/ وليس لنا حتّى
جحيمُنا الخاص.

أيّها الغد المرسوم بالوحول

I

كمن يتفحّص صورةً شمسيّةً داستها
فصول السنة
بطينها وتُرابها، بمائها ونارها.
كمن يُحاول أن يتبيّن فيها ملامح أحدٍ يعرفهُ
لكنّها عصيّةٌ على العين التي لا تريد أن ترى
قباحة أحدٍ تحبّه.

هكذا أيُّها الغدُ المرسوم بالوحول،
في هذه البلاد المشدودة من باقتها إلى فمِ
الشمس
والمزّق جبيها من لصوص الطين
الحافية على جمرٍ،
والنائمة على العاقول يفترس لحمها ولحم
طمانينتها.
لا ملامح لك،
ولا في تفاصيلك بعضٌ من جينات أمسنا
المحفوظ في ألواح البلاد.
أيُّها الغدُ الآتي من رأس الهةٍ دمويةٍ
تستبيح الحديقة والحانة والمقهى الكئيب،
لا تدخل من النافذة
لا تكن عفنًا تخضرّ شُعيراته على وجودنا
لا تطرق الباب،
غريبٌ لا تشبه الغرباء الذين شرّعنا لهم
خيامنا
ولا نعرفك.

II

ماذا سنفعلُ من الآن
للغد الذي يلوّحُ مصيرٌ غامضٌ ويبصِقُه
وعلى أيّ بلّةٍ سنلتفتُ،
والبلايا تطلعُ غفلة مثل الأشباح
وتتدلّى على رؤوسنا فجأةً مثل من ينتشقّى
فاكهةً في الجنّة
ثمّ نراها في الهبوب، وفي الدرب، وفي أعين
هذا الخلق الأسيرة.

أقول: ماذا سنفعلُ
ونحن أسارى وحوش لا ترتوي من دمٍ
ولا تشبعُ من صراخ الهاربين من بطشها
إلى بطشها.

إلى أين سنمضي؟
والمجاعاتُ تُقلّبُ في أحشائنا عن ذُرى خُبزٍ
قديمٍ
والرملُ ماؤنا وشرابنا.

من سينتبه لغدٍ ترسمهُ الآلاتُ وتضع
اشتراطاته يدٌ مجهولة
الإنسانُ فيه بضعة أرقامٍ تعدو في الشاشات
العواطفُ فيه لا تنمو ولا تذبل مثل وردة
منسوجة على قماش،
الصداقات هراء
والعالم سوقٌ نخاسة طويل.

أقول وأنا أتربّص في مارق الحياة:
ماذا سنفعلُ لما بعد الغد
- إن داهمنا الغدُ وجاء قبل موعده -
وأنا للآن، لم أنتهِ من عِلَلِ يومي وبلاياه
ولم أزل
أكشط
عفن الأيام الماضية
عن جسدي.

■■■

اتذكّرُكم واحدًا واحدًا

أتذكّرُكم كما لو أنّني اخترتُ أسماءكم
والقبْتُ عليكم شهادةَ الوجودِ
ونقشتُ مواليدكم على جدران ذاكرتي.

لا أعرف النسيانَ
ولا هو يتدنّى مني
أنا مصابٌ بملامحكم التي أبصرتم بها
النهاية،
بوجوهكم المصفرّة وأجسادكم الرخوة
ونومكم الأبديّ
مصابٌ برسم مصرعكم كلّ ليلةٍ،
بتدوينٍ ما قاله لكم الأحبّة،
بتنظيف قبوركم من الحصى وتفتيت
تربتها الخشنة،
بإنزالكم فيها وتلاوة الخسران عليكم.

أتذكّركم واحدًا واحدًا
وكلّ ليلةٍ أقضي معكم سهرتي
حين أغلق جفوني
فتفتحون جفونكم فيها.

(شاعر من العراق)

ندوة

مقاومة الاستعمار الاستيطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر

النساء الفلسطينيات تاريخ من مواجهة الإبادة

في ندوة نظّمها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بتونس، قرأت أربع باحثات فلسطينيات واقع النساء في ظلّ العدوان الإبادي على غزّة

من مظاهرة نسوية في تونس العاصمة لتجدّدا بالإبادة الصهيونية، 8 آذار/ مارس 2024 (Getty)

تونس ـ **العربي الجديد**

لمناسبة «اليوم العالمي للمرأة»، عقد «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» فرعَ تونس، مساء الجمعة الماضي، ندوةً بعنوان «المرأة الفلسطينية والمقاومة: نحو جذرية ما بعد كولونيالية»، شاركت فيها أربع باحثات فلسطينيّات: راوية الناظر، ونوار ثابت، ونور بدر، وسمر عبد العظيم، وقدّمتها الباحثة التونسية عائشة الشايب، وبُثّت عبر منصة «زووم».

بدأت الندوة بمداخلة للباحثة راوية الناظر، التي تناولت «المرأة الفلسطينية وإعادة الإنتاج الاجتماعي»، لما يعكسه الموضوع من تعقّد، فالحروب لا تُخاض عبر البنادق فقط»، ونبّهت إلى «أنّ المرأة الفلسطينية تُجابه ما يفرضه الاحتلال من أنماط حداثية استعمارية على النساء، والمتوافقة ضمناً مع السردية الصهيونية»، ولفتت إلى «دور المرأة الفلسطينية المركزي في المقاومة كما في عمليات القطف المهْرية، وهذا الدور ينسحب على العدوان الأخير الذي بلغت نسبة الشهيدات فيه 70 بالمئة. مع ذلك، فإنّ وعياً عميقاً من النساء بدورهنّ في إعادة إنتاج الوطن هو السائد حالياً. وضمن هذا الإطار يمكن القول إنّنا أمام مشهد للمقاومة النسوية».

وتحدّثت الباحثة عن «ضرورة اقتراح مقاربة جديدة للنظر إلى واقع النساء الفلسطينيات، وعدم اختزالهنّ بالمقاربة الطبقية أو النيوليبرالية، بل من خلال النسوية التشاركية، التي عبرها يُمكننا فهْم الواقع العربي ككل بعد الثورات العربية، وكذلك مسألة المُقاطعة المطلوبة والمُلحّة اليوم أكثر من أي وقت آخر».

«المرأة الفلسطينية: من الهزيمة إلى الثورة» عنوان مُداخلة الباحثة سمر عبد العظيم، التي تناولت «الجندرية الفلسطينية بوصفها حالةً خاصة في الحفاظ على الهوية، موضّحة أنّ مقاومة المرأة الفلسطينية قد بدأت قبل المشروع الاستيطاني الإحلالي، حيث شاركت عام 1893 برفض بناء أول مستعمرة على أرض العفولة، و«بالتالي نحن أمام سيرورة ممتدّة إلى هذا اليوم».

وانتقلت عبد العظيم للحديث عن إنشاء أوّل جمعيّة اجتماعية عامّة للمرأة عام 1903 في عكّا، التي تأسّست على يد نبيهة مُلكي، و«جمعية زهرة الإحسان» التي بدأت بتنظيم النساء عسكرياً للمقاومة، كما تنامى هذا الدّور مع الجمعيّات التي نشأت في الشتات بعد نكبة 1948. وبعدها أصبحْنا أمام نموذج المرأة الفدائية مثل أمينة دحبور، وريما طنوس، وليلى خالد، وتبرز هلسا، وأمل حنبلي وسهيلة أندراوس».

بدورها، قرأت الباحثة نور بدر واقع النساء من خلال مداخلتها «رحلة الموت في حياة النساء الفلسطينيات: في سوسيولوجيا السجن والحصار»، مُبيّنة أنّ «النساء والأطفال هم المستهدفون الرئيسيون في حرب الإبادة، ويتكامل هذا مع تدمير البُنية الطبّية من أجل قطع الطريق على استعادة الوجود الفلسطيني». وتابعت: «العدوّ الإسرائيلي أدرك أنّ الفلسطيني ينظر إلى الجسد وفقاً لجدلية الأرض والعِرض، وبالتالي بثّ خطابه حول انتهاك أجساد النساء واغتصابهنّ، من أجل تخويف المجتمع وإجباره على الرضوخ للتهجير. وما الصور التي تصل إلينا اليوم من فظاعات يرتكبها جنود الاحتلال إلا مثالٌ على ذلك، وتندرج ضمن مفهوم التحديق الاستعماري، حيث روّج الاحتلال لقدرته على اقتحام تفاصيل حياة الإنسان الفلسطيني».

كذلك عرضت الباحثة تسجيلاً وثائقياً يُظهر معاناة نساء غزّة المُصابات بالسرطان في تأمين علاج لهنّ، في أثناء الحصار، وربطت هذه المعاناة برغبة عارمة في تحطيم «حاجز إيرز» الاحتلالي لدى المقاومة الفلسطينية، وهذا ما تبدّى مع بدء عملية «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023.

وختمت الباحثة نوار ثابت الندوة بمداخلتها حول «صوت الهامش في إنتاج المعرفة النسوية»، لافتةً إلى أنّ «التاريخ حين يُروى على لسان النساء يكون له طابع آخر»، وتحدّثت عن تجربة الاستماع إلى أمّهات الأسرى والشهداء، والنساء الشاهدات على العدوان من طبيبات وصحافيات وكذلك المريضات والحوامل.

فعاليات

إسرائيل، كيان فصل عنصري عنوان المحاضرة التي يستضيفها فضاء «ريسيستينسيا» في المرية بإسبانيا، عند الخامسة من مساء العشرين من الشهر الجاري. ينظّم المحاضرة **مكتب مقاطعة إسرائيل**، ويلقيها **ماريانو رودريغز**، حيث يتناول فيها سياسة الفصل العنصري التي يمارسها كيان الاحتلال في فلسطين المحتلّة.

تحلّ الكاتبة الفلسطينية **عدنية شبلي** ضيفة شرف في الدورة الثانية عشرة من مهرجان **عيد الرعاة**، التي تُقام بين الثامن عشر والحادي والعشرين من نيسان/ ابريل المقبل، في «المركز الثقافي الجبلي» بسماما في ولاية القصرين التونسية. شبلي من مواليد عام 1974؛ ومن اعمالها: «مساس» (2001)، و«كلّنا بعيد بذات المقدار عن الحب» (2004)، و«تفصيل ثانوي» (2017).

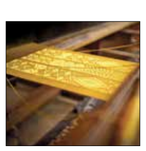

ابتداءً من التاسع عشر من آذار/ مارس الجاري وحتى السادس من حزيران/ يوليو المقبل، يستضيف «متحف الفنّ الإسلامي» في الدوحة معرض **حرير العنكبوت الذهبي**. يسرد المعرض تاريخ حرير العنكبوت، ويوثّق اسماء الاشخاص الذين طوّعوا هذا النوع من الحرير، منذ ان اطلق الفرنسي **فرانسوا كزافييه بون** فكرته عام 1709.

بين الثلاثين من آذار/ مارس الجاري وحتى السابع من نيسان/ ابريل المقبل، يستضيف «مسرح المونو» في بيروت مسرحية **قندلفت تصعد إلى السماء**، من تأليف **ريمون جبارة** وإخراج **رفعت طربية**. يتناول العمل قصّة صديقين لديهما طموحات للنجومية، لكنّهما يقعان في حبّ جارتهما لوسيا، ويخشيان ان تعرقل طريف الشهرة.

مع غزّة

العدوّ في منازلنا جميعاً

ملاك أشرف

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

بغداد ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلكِ هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

ما يشغلني في هذه الأيّام، أو بالأحرى منذ فترةٍ طويلة، هو الجهل. هذه الأجيال تجهل مَن تكون «إسرائيل»، وبما أنّها تجهل ذلك الكيان السامّ، فهي لن تستطيع المقاومة وصدّ الهجمات كما ينبغي تمامًا؛ كونها لا تكره «إسرائيل» بما يكفي لإزالتها نهائيًا. كان كُتّاب وشعراء فلسطين يعرفون عدوّهم جيّدًا؛ وعليه فإنّ الأدب كان أكثر حضورًا وأعلى صوتًا من أدب اليوم. هناك مَن يعرف كيف يقتل حشرًا وهميًا وهشًا من خلال قصيدة واحدة فقط، مثل: محمود درويش وقصيدته «أنا عربي»، وسميح القاسم وقصيدته «ساقاوم يا عدوّ الشمس».

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

لم يؤثّر هذا العدوان في حياتي حديثًا، بل بدأ تأثيره في روتين حياتي اليومية والتأليفية الخاصّة منذ زمنٍ؛ إذ شرعتُ في الكتابة عن فلسطين منذ أولى مُحاولاتي الجادّة في عالم الأدب، حيث أوضحتُ أولى مقالاتي النقديّة طبيعة شعر حنّا أبو حنّا الذي لم يتوسّل شعره صحيفة، ومن ثمّ مقال نُقديّ ثانٍ عن غسّان كنفاني، قُدّم في قسم اللّغة العربيّة في كلّية الآداب أمام جمهور واعٍ، لمناسبة اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني. ولأني لا أحبّ الصراخ أو لفت الانتباه، حاولتُ تذكير الجميع في الثالث عشر من تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي إلى الرفض الصارم لكيان اسمه «إسرائيل» ولكلمة اسمها «الصراع»، إنّما يُسمّى هذا الكيان كيانًا بربريًا يُواجه حركة تحرير فلسطينيّة، تُقاتل من أجل العدالة واسترداد الحقّ فحسب؛ لترافقه كتابات هادئة عن المنسيّين والحروب لاحقًا، تتضمّن رسائل مجازية عن النجاة من أخطار العالم وتغيراته السريعة الهجينة. يبدو أنّ حياة المرء العربيّ ستكون دائمًا سلسلة من الرفض الخائب.

■ إلى أي درجة تشعرين أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

إنّ الاستمراريّة في شيءٍ ما تقهر العدوّ، وتزعزع ثباته المُزيّف؛ لذا كلّما أصرّ الإنسان على هدفه حقّق في النهاية ما يأمله، وإن استغرق الأمر وقتًا مديدًا، لا بُدّ أن تُنتجَ أعمالٌ خلّاقة تُشير إلى تهذيب النفس، وتحريك الوعي والاهتمام بالمهمّشين، أن نكتب كلماتٍ تُنقذ المرء، وتجعله يواصل مقاومته، وليس العكس. البشريّة في حاجة إلى الإنسانيّة، إلى التعاطف والذاكرة، والأهمّ من ذلك تدريب الذات على الشعور بالآخر بغضّ النظر عن هُويّته. إنّ إيقاف الاستمرار في القراءة والكتابة هو ما يريده العدوّ حتّى لا نفقد الجهل والركود، وانعدام الإحساس في المُقابل هو مبتغى الإبادة المتواصلة.

■ لو قُيّض لكِ البدء من جديد، هل ستختارين المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أبدأ كُلّ يوم من جديد، لأنّني ببساطة أكتب في الأدب الاعترافي، وهذا أدب يتطلّب أن تستحضر التجارب والمواقف الفرديّة الحقيقيّة، سواء أكانت في المجال الإنساني أو السياسي، فالهروب من السياسة والنضال هو السياسة أو الخيانة ذاتها. أرى أنّ المجال الإبداعيّ عامة هو المجال الوحيد الذي ينتشل الشخص من الاغتراب والضياع.

ملاك أشرف

لنكره الكيان الاستعماري بما يكفي لإزالته نهائيا

■ لو قُيّض لكِ البدء من جديد، هل ستختارين المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أبدأ كُلّ يوم من جديد، لأنّني ببساطة أكتب في الأدب الاعترافي، وهذا أدب يتطلّب أن نستحضر التجارب والمواقف الفرديّة الحقيقيّة، سواء أكانت في المجال الإنساني أو السياسي، فالهروب من السياسة والنضال هو السياسة أو الخيانة ذاتها. أرى أنّ المجال الإبداعيّ عامة هو المجال الوحيد الذي ينتشل الشخص من الاغتراب والضياع.

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

أريدُ أن يكون العالم خاليًا من الإنكار والخداع والخذلان. وأنا أنتظر أن يرى الشخص المنسيّ العابر، ويتعاطف معهُ كبيلا يستسلم أو ينتحر في ما بعد. أتوقّع منه أن يدفع بالهامش الصادق إلى المتن والمتن المُحتل إلى الهامش!

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودين لقاءها، وماذا ستقولين لها؟

بالتأكيد سيكون غسّان كنفاني. أقول له لو كان أمامي: قضية الإنسان هي معرفة الحقيقة ورؤية المنسيّ والخائف، لن أموت قبل أن أصبح ندًّا أو درسًا صغيرًا للعيون المبصرة.

■ كلمة تقولينها للناس في غزّة؟

تذكّروا ما قاله كنفاني: لا قيمة للحياة دون الأمل العميق الأخضر، لا يمكن أن تكون السماء قاسية إلى لا حدود. أمّا أنا فأقول: هذا العالم الحقير صفع الجميع، العدوّ في منزلنا جميعًا، واوصلنا إلى الذلّ، والأمل وحده لا يستطيع، مهما بلغت حدّته، أن ينتج صفعة قوية أخرى؛ لذا فإنّ أمثالنا يحتاجون إلى التفكير والإرادة والصبر والإصرار. ينبغي للإنسان المقاوم أن يكون عنيدًا، وإلّا فإنّه سيترك نضاله بلا وقود.

■ كلمة تقولينها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

لا شيء أقوى من العلم والمعرفة. يصدّ الأوهام والأكاذيب مَن كان عارفًا ومُطلعًا بغزارة على الأمور كلها بقدر الإمكان، قدّسوا المعرفة والحُرّية، علينا أن نعيش أو نموت كالرجال، أي بشجاعة وحُرّية لا مُقابل لها، الحُرّية التي هي نفسها المقابل على حدّ تعبير غسّان كنفاني.

■ حين سئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقولين لدارين ولأطفال فلسطين؟

لن يُشفى أحد من جرح الخيبة والغربة. أنا لا أنشر الإحباط، بل أسعى نحو الواقع والاعتراف، أتدرون ما الخسارة؟ هي أن يموت الإنسان في النهاية، وهو خالٍ من المحاولة والكفاح، أتدرون ما النسيان؟ هو أن يغادر الإنسان فارغًا من أيّ قصص أو أحداث تتعلّق بالحُرّية واليقظة، ثمن الخلود هو الموت ظلمًا، ثمن الخلود هو الصوت الصادح، وليس الصمت السائد!

بطاقة

شاعرة وصحافية عراقيّة من مواليد 2001، حاصلة على شهادة البكالوريوس في الأدب العربي من كلّية الآداب. نشرت العديد من المقالات والتحقيقات والقصائد في الصحف العربية.